



اسمها ونسبة:

أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أبى أبى سعد بن حرب بن مكي زيد الدين الزُّرْعِي ثم الدمشقى الحنبلي الشهير بابن قيم الجوزية.
واشتهر - رحمه الله - بابن قيم الجوزية [2].

وقيم الجوزية هو والده - رحمه الله - فقد كان قيماً على المدرسة الجوزية بدمشق مدة من الزمن، واشتهر به ذريته وحفدهم من بعد ذلك، وقد شاركه بعض أهل العلم بهذه التسمية [3].
وتقع هذه المدرسة بالبزورية المسمى قديماً سوق القمح، وقد احتلّس جيرانها معظمها وبقي منها الآن بقية ثم صارت محكمة إلى سنة 1372 هـ [4].

مولده ونشأته:

ولد في اليوم السابع من شهر صفر لعام 691هـ. قيل أنه ولد في زرع وقيل في دمشق.

عبادته وزهده:

قال ابن رجب - رحمه الله - : "وكان - رحمه الله تعالى - ذا عبادة وتهجد وطول صلاة إلى الغاية القصوى، وتأله ولهج بالذكر وشغف بالمحبة، والإناية والاستغفار والافتقار إلى الله والانكسار له، والاطراح بين يديه وعلى عتبة عبوديته، لم أشاهد مثله في ذلك ولا رأيت أوسع منه علماء، ولا أعرف بمعاني القرآن والسنة وحقائق الإيمان منه، وليس بمعصوم، ولكن لم أر في معناه مثله. وقد امتحن وأؤذني مرات، وحبس مع الشيخ تقى الدين في المرة الأخيرة بالقلعة منفرداً عنه ولم يخرج إلا بعد موت الشيخ. وكان في مدة حبسه منشغلاً بتلاوة القرآن بالتدبر والتفكير ففتح عليه من ذلك خير كثير وحصل له جانب عظيم من الأدوات والمواجيد الصحيحة، وتسلط بسبب ذلك على الكلام في علوم أهل المعرفة والدخول في غواصتهم وتصانيفه ممتلئة بذلك" [5].

وقال ابن كثير - رحمه الله - : "لا أعرف في هذا العالم في زماننا أكثر عبادة منه، وكانت له طريقة في الصلاة يطيلها جداً، ويمد ركوعها وسجودها، ويلومه كثير من أصحابه في بعض الأحيان فلا يرجع ولا ينزع عن ذلك - رحمه الله تعالى - " [6].

أعماله - رحمة الله - :

1. الإمامة بالجוזية.
2. التدريس بالصدرية، وأماكن أخرى.
3. التصدي للفتوى.
4. التأليف.

فتاوی امتحن بسببها:

* مسألة الطلاق الثلاث بلفظ واحد.

* فتواه بجواز المسابقة بغير محلل: وذكر ابن حجر - رحمة الله - أنه رجع عن هذه الفتوى [7]، وما ثمة دليل على الرجوع، والله أعلم بالصواب، وقوله هو الصواب الموافق للدليل [8].

* إنكاره شد الرحال إلى قبر الخليل.

* مسألة الشفاعة والتوصيل بالأئية.

فرحمة الله - تعالى -، وهذا هو طريق الأنبياء والمرسلين، فمن ابتلى في الله علم أنه على طريق إمام الموحدين الخليل إبراهيم ومن بعده سيد ولد آدم محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - .

اتصاله بشيخ الإسلام - رحمة الله وغفر لهما - :

اتفقت كلمة المؤرخين على أن تاريخ اللقاء كان منذ سنة 712هـ، وهي السنة التي عاد فيها شيخ الإسلام - رحمة الله - من مصر إلى دمشق واستقر فيها إلى أن مات - رحمة الله - سنة 728هـ.

وقد تاب - رحمة الله - على يد شيخ الإسلام - رحمة الله - قال:

يا قوم والله العظيم نصيحة *** من مشق وأخ لكم معوان
جربت هذا كله ووقيعت في *** تلك الشباك و كنت ذا طيران
حتى أتاح لي الإله بفضله *** من ليس تجزيه يدي ولسانني
يفتى أتى من أرض حران فيها *** أهلاً بمن قد جاء من حران
فالله يجزيه الذي هو أهله *** من جنة المأوى مع الرضوان
أخذت يداه يدي وسار فلم يرم *** حتى أراني مطلع الإيمان
ورأيت أعلام المدينة حولها *** نزل الهدى وعساكر القرآن
ورأيت آثاراً عظيماً شأنها *** محجوبة عن زمرة العميان

مشايخه:

له عدد كبير من المشايخ جمعهم معالي الشيخ بكر أبو زيد - رحمة الله -، وذكر منهم خمسة وعشرين ونذكر بعضهم:

1. قيم الجوزية: والده - رحمة الله - .
2. شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمة الله - .
3. ابن عبد الدائم: أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسي مسند وقته - رحمة الله - .
4. أحمد بن عبد الرحمن بن عبد المنعم بن نعمة النابلسي - رحمة الله - .
5. ابن الشيرازي: ذكر في مشيخة ابن القيم ولم يذكر نسبه فاختلط فيه.
6. المجد الحراني: إسماعيل مجد الدين بن محمد الفراء شيخ الحنابلة - رحمة الله - .

7. ابن مكتوم: إسماعيل الملقب بصدر الدين والمكتنى بأبي الفداء بن يوسف بن مكتوم القيسي - رحمة الله - .
8. الكحال: أيوب زين الدين بن نعمة النابلسي الكحال - رحمة الله - .
9. الإمام الحافظ الذهبي - رحمة الله - .
10. الحكم: سليمان تقى الدين أبو الفضل بن حمزة بن أحمد بن قدامة المقدسي مسند الشام وكبير قضاتها - رحمة الله - .
11. شرف الدين ابن تيمية: عبد الله أبو محمد بن عبد الحليم بن تيمية النميري أخو شيخ الإسلام - رحمة الله - .
12. بنت الجوهر: فاطمة أم محمد بنت الشيخ إبراهيم بن محمود بن جوهر البطائحي البعلوي، المسندة المحدثة - رحمة الله - .

طلابه:

وتلاميذه كثر ذكر منهم الشيخ بكر إحدى عشر ونذكر بعضهم:

1. البرهان بن قيم الجوزية: ابنه برهان الدين إبراهيم - رحمة الله - .
2. الإمام الحافظ ابن كثير - رحمة الله - .
3. الإمام ابن رجب - رحمة الله - .
4. السبكي: علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي - رحمة الله - .
5. الإمام الحافظ الذهبي - رحمة الله - .
6. الحافظ ابن عبد الهادي: محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن قدامة المقدسي - رحمة الله - .
7. الفيروزآبادي: محمد بن يعقوب بن محمد الفيروزآبادي صاحب القاموس - رحمة الله - .

مؤلفاته - رحمة الله - ونذكر منها:

بلغ بها معايي الشیخ بکر أبو زید 98 مؤلفاً، ومنها:

1. الصواعق المرسلة.
2. زاد المعاد.
3. مفتاح دار السعادة.
4. مدارج السالكين.
5. الكافية الشافية في النحو.
6. الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية.
7. الكلم الطيب والعمل الصالح.
8. الكلام على مسألة السماع.
9. هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى.
10. المنار المنير في الصحيح والضعيف.
11. إعلام الموقعين عن رب العالمين.
12. الفروسيّة.
13. طريق الهجرتين وباب السعادتين.
14. الطرق الحكيمية.

وفاته:

توفي - رحمه الله - في ليلة الخميس 13/7/751هـ وقت أذان العشاء، وبه كمل من العمر ستون سنة.
وصلي عليه في الجامع الأموي ثم بجامع جراح وقد ازدحم الناس للصلوة عليه.

- [1] ذيل طبقات الحنابلة (2/447) لابن رجب، ذيل العبر (5/282) للذهبي، المقصد الأرشد (2/384) لابن مفلح، الدر المنضد للعليمي (2/521) المنهج الأحمد (5/92) للعليمي، معجم المؤلفين (3/164)، التسهيل برقم: 1779، ابن القيم حياته وأثاره لمعالى الشيخ بكر أبو زيد وأكثر النقل عنه، علماء الحنابلة لبكر أبو زيد برقم: 2109.
- [2] وأطلق عليه زاهد الكوثري الجهمي الهالك ابن زفيل!! وكان يسبه كثيراً ووقفت على كتاب الرد على أحكام الطلاق وقد أكثر من سب الشيخ الإمام بأقبح السباب فيقول: حمار وكلب وغيرها، وكما قيل كل إماء بما فيه ينضح، وقد سب غيره من علماء السلف - رحمهم الله - وعامل الكوثري بعدله.
- [3] ابن القيم حياته وأثاره: 28.
- [4] منادمة الأطلال - عبد القادر بدران - المكتب الإسلامي: 227.
- [5] ذيل طبقات الحنابلة، 2/448.
- [6] البداية والنهاية: 14/202.
- [7] الدرر الكامنة: 4/23.
- [8] وهو اختيار شيخنا معالي الشيخ صالح الفوزان - وفقه الله لكل خير وبر - .

المصدر: صيد الفوائد

المصادر: